# الارساليات التبشيرية الفرنسية في تونس١٨٨١-١٩١٤
## دراسة تاريخية في الاهداف والاساليب الاستعمارية

م. فضيلة اسماعيل رحيم
الجامعة المستنصرية /كلية التربية / قسم التاريخ
fadelaraheem@gmail.com

**الملخص**

تهدف الدراسة على دور الارساليات التبشيرية الفرنسية في تونس والذي تزامن دخولها للاراضي التونسية مع فرض الحماية الفرنسية عام ١٨٨١ لتكون اداة طيعة بيد المحتل وتسهم في تكريس التجزءة والسيطرة على الشعب التونسي لدرجة تجعله عاجزاً عن مقاومة الاحتلال والسير على ما ترسمه له الحكومة الفرنسية.

لقد كانت اعمال التبشير التي تقوم بها الارساليات بعلم ومباركة الكنيسة وسلطات الاحتلال الفرنسي حيث اطلقت لها العنان في المضي بتحقيق اهدافها وغاياتها ، على الرغم من مقاومة الشعب التونسي، لاسيما رجال الدين والفقهاء الذين افتوا بحرمة التعامل مع تلك الارساليات ونبهت على الأهداف الحقيقية التي تقف خلف اعمالهم وان هدف التبشير هو تحريف عقيدة ابناء تونس وجعلهم يعتنقون المسيحية بدلاً من دين الاسلام، ولكن على رغم من تلك الدعوات فان البعض ممن استهوتهم الحياة الغربية قد انخرطوا في تلك السياسة واصبحوا فرنسين اكثر من فرنسا نفسها ولكن بقيت اعدادهم قليلة قياساً الى السواد الاعظم من ابناء الشعب التونسي الذي رفض بشدة الاعمال كافة التي يقوم بها المبشرين ورفض تلك المساعدات الصحية والتعليمية التي كانت الارساليات تقدمها للشعب التونسي.

**الكلمات المفتاحية: ارساليات ، تبشير ، تونس**

**Abstract**

In this study, we highlight the role of The French Missionaries in Tunisia, whose entry into Tunisian territory coincided with the imposition of French protection in 1881 as a means of obedience to the hand of the occupier and contributes to the consolidation of division and control of the Tunisian people to the point where they are unable to resist the occupation and to follow what the French government paints for them.

The missionary actions carried out by the missions were carried out with the knowledge and blessing of the occupation

authorities, which unleashed them to continue to achieve their goals and objectives, despite the resistance of the Arab people, especially the clerics and jurists who opened up the sanctity of dealing with those missions and warned against the real objectives behind their actions, and that the goal of proselytizing is to distort the doctrine of the sons of Tunisia and make them convert to Christianity instead of the religion of Islam, but despite those calls, some of those who were inspired by Western life have become more involved in this policy and have become more French. France itself, but their numbers remain small compared to the great majority of the Tunisian people, who strongly rejected all the work of the missionaries and rejected the aid they were providing to the Tunisian people.

**Keyword: missions, The missionary, Tunis**

**المقدمة**

التبشير واحد من الموضوعات التاريخية الحساسة والمهمة للغاية والتي لم تاخذ نصيبها الكافي من الدراسة والتحقيق من اهدافه وغاياته الحقيقية والتي أثرت تاثيراً واضحاً في مجرى الاحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها الوطن العربي.

وفي هذه الدراسة نسلط الضوء على دور الارساليات التبشيرية الفرنسية التي غزت تونس بالتزامن مع فرض الحماية الفرنسية عليه عام ١٨٨١، ونستعرض الدور الحقيقي الذي لعبت تلك الارساليات حتى نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، إذ انشغل العالم باسره بظروف الحرب ومجرياتها الامر الذي دفع الارساليات الى التقليل من نشاطها نظراً لقلة الاموال وانشغال فرنسا نفسها في الحرب، ولكن بعد ان وضعت الحرب اوزارها عام ١٩١٨ عادت تلك الارساليات وبقوة لممارسة انشطتها السابقة ووسعت من نطاق مناطق عملها لتشمل الجزائر وموريتانيا والمغرب.

قُسمت الدراسة على مبحثين، عني المبحث الأول بدور الإرساليات منذ دخولها الاراضي التونسية وأهم الانشطة والفعاليات التي قامت بها في حين كرستُ المبحث الثاني لدراسة الارساليات التعليمية التي مهدت لبناء المدارس وقبول الطلبة بغية تخريج جيل جديد مسلوب الارادة ولايشعر بشعور وطني تجاه قضية بلاده المصيرية وكان هذا الهدف من اهم الاهداف التي سعت اليها الادارة الفرنسية في تونس واعتمدتُ الدراسة بالدرجة الاساس على ماتوافر من مصادر عربية وأجنبية أسهبت في هذا المجال مع شحة واضحة في الوثائق التي تتعلق بمدة الدراسة لأن تلك الوثائق ذات اهمية كبيرة في

فهم مستوى التفكير الفرنسي سواءً السياسي أم الاجتماعي وحتى الثقافي ونظرة السلطة الفرنسية لاعمال التبشير ودرجة الرضى عنها. والله ولي التوفيق

المبحث الاول : الارساليات التبشيرية الفرنسية في تونس:

بدأت الارساليات التبشيرية الفرنسية تتسلل الى تونس منذ عام ١٨٨١، مستغلةً وجود جاليات اوروبية من جنسيات مختلفة، وقد سهل القناصل الاوروبيين في زمن سيطرة الدولة العثمانية عمل تلك الارساليات من خلال منحها بعض الامتيازات وتوطيد علاقاتها بالبلاط والتأثير عليه[١] (الحبيب ، د.ت ، ص١٨).

ومع فرض الحماية الفرنسية على تونس عقب توقيع اتفاقية باردو في١٢ حزيران ١٨٨١[٢](الحبيب ، د.ت ، ص٢٧). اصبحت الارساليات التبشيرية تمارس اعمالها بكل حرية وتحت حماية الاستعمار الفرنسي[٣] (سيد حامد، ١٩٥٩، ص ٧٣).

شهد عام ١٨٨٢ وصول بعثة سانت أن Sant Ann[٤](الحبيب ، د.ت ، ص٣٦) التابعة للكنيسة الانجيلية في باريس وكان اغلب اعضاءها من النساء الفرنسيات اللواتي كن يبشرن في مستشفيات النساء والمستوصفات[٥] (سيد معاطي، ١٩٧١، ص ٥٥). كذلك كان بينهن طبيبات يزورن النساء التونسيات في منازلهن في القرى بهدف الاتصال المباشر بالمرأة[٦] (سيد حامد، ١٩٥٩، ص٧٦) يذكر احد المبشرين في هذا الصدد (ان الممرضة والطبيبة لا تعمل على تخفيف الالم فقط عن المريض بل تحمل اليهم ايضاً رسالة السيد المسيح)[٧] ( M.W. 1955,88,). لقد نشطت تلك الارساليات في مدن قابس[٨] ( الزواوي ، ١٩٨١، ص ٦٥) وتوزر[٩] (الحبيب ، د.ت ، ص٤)والمهدية[١٠]( الزواوي ، ١٩٨١، ص ٦٧).

وقامت بتقديم العلاجات للمرضى واجرت عدة عمليات جراحية مجانية للاهالي[١١](Arthur,1987,P.187).

كما قامت الارسالية ببناء مستشفيات في مدينتي قابس وتوزر بعد ان استولت على اراضي الاوقاف[١٢](التوزري ، د.ت، ص١٦١).

كان التطبيب وعلاج المرضى وسيلة ناجحة لتحقيق غاياتهم مستغلين الفقر والجهل وتدني الخدمات الطبية، إذ أعلن أحد أطباء هذه الارسالية (أن الطبيب المبشر يمكنه مخاطبة المسلمين بكلام كثير يزعزع عقيدتهم ويجب ان يفهم ان المسيح هو الذي شافاه من علته)[١٣] ( Wilson, 1950 . p.77) .

وبعد ان يتعافى المريض ويهم للخروج من المشفى يعطي نسخة من الانجيل[١٤] (التوزري ،د.ت، ص١٦٢).

مطلع عام ١٨٩٩ دخلت الاراضي التونسية جمعية القديس جوزيف Sant Josheph[١٥] (التوزري،د.ت، ص٩٢.) الخيرية لتقديم المساعدات على المحتاجين ولكن في حقيقة الامر ان هذه الجمعية الخيرية هي وجه اخر من وجوه التبشير المسيحي[١٦](Samuel,1984, p.102).

فتحت الجمعية فروع لها في مدينة صفاقس[١٧] (الحبيب،د.ت،ص٣) وسوسه[١٨] (الحبيب ، د.ت، ص٣). وراحت توزع الطعام والثياب والاموال على الفقراء بالمقابل كانت الجمعية تعقد الندوات وتثقف السكان على تعاليم المسيحية[١٩] (خالدي و فروخ،١٩٧٥،ص٦٣).

كان ذلك اسلوباً جديداً لكسب الناس البسطاء، فالمبشرين كانوا يعتقدون ان (اعمال الخير والاحسان يجب ان تستعمل بحكمة، فلا تنفق الاموال الا في سبيل المسيحية ويجب ان تعطي اولاً للبعداء ثم يقل دفعها تدريجياً كلما زاد اقتراب هؤلاء الناس الى الكنيسة)[٢٠](Samueal,1984 p.103).

أنشأت الجمعية عدداً من ملاجئ الايتام واهتمت بذلك الامر كثيراً لان الملجأ هو السبيل الوحيد لتنشأة الاطفال تنشئة مسيحية[٢١] (نعمة ، ١٩٨٥، ٤٧) فضلاً عن دار لكبار السن والعجزة في سوسه[٢٢] (نعمة ، ١٩٨٥، ص ٤٩). كما اسهمت بأغاثة السكان من الفيضانات والغرق عن طريق توزيع الخيم والمؤن الطبية، وتقديم اللقاحات ضد الامراض السارية والمعدية التي كانت تنتشر في بعض مدن تونس[٢٣] (كيمش،١٩٧١، ص٧٥).

لقد نجح المبشرين في اعمالهم الى حدٍّ ما وفي مدن تونس كافة (لانهم يحسنون بقولهم ان تلك الاعمال هي من اعمال الغرب المتقدم والمتحضر قياساً الى تونس المتأخر، وانها نعمة مسيحية بين مسلمين متقهقرين)[٢٤] (John,1955,p.89-90).

لم يتقبل بعض السكان ما تقوم به الارساليات من اعمال تبشيرية لاسيما المسلمين منهم لان الاسلام نظام اجتماعي متكامل وكل ما ياتي من هؤلاء المبشرين

هو شر مطبق الهدف منه تحريف الناس عن عقيدتهم وهو (نتاج مشوه لمبادئ اجتماعية رخيصة)[٢٥] (M.W. p.98).

وقد ادرك المبشرون حقيقة ذلك مع صعوبات في التعامل مع المسلمين في تونس وقد كتب احد المبشرين حقيقة ذلك من صعوبات في التعامل مع المسلمين في تونس وقد كتب احد المبشرين ما نصه (ان اقناع المسلمين في تونس صعب لانهم يشكون فيمن تبرع لهم ويقرون عمله الى مأرب اخرى ونحن نحاول ان ننقلهم من محمد الى المسيح ومع ذلك يظن المسلم ان لنا في ذلك غاية خاصة)[٢٦] (John,1955,p.92).

مع بداية عام ١٩٠٢سمحت السلطات الفرنسية لمجموعة من الشباب الفرنسي بفتح اندية شبابية والتي كانت واجهه من واجهات التبشير لغرض حرف الشباب التونسي عن قضيته تجاه بلاده[٢٧] (الماطري،١٩٧٤،ص ١١٥).

كانت تلك الاندية تمارس نشاطات مختلفة اجتماعياً وسياسياً، حيث كانت تلقى المحاضرات وتقام حفلات السهر والتسلية، والهدف هو اجتذاب الشباب للحياة الغربية وسلخة عن واقعه العربي والاسلامي ليكون اداة طيعة بيد المستعمر الفرنسي[٢٨](بن كره، ١٩٨٠،ص٧٥).

لقد ادى ذلك الى ترك الكثير من الشباب لعوائلهم والسكن في (بيوت الشباب) التي اصبحت جزءاً من البرنامج التبشيري، فقد أخذ المبشرون الى تلك النزل الصبيان والبنات والذين لا بيوت لهم[٢٩] (الماطري،١٩٧٤،ص١١٧).

وقد كان هؤلاء يعملون فيها او يدربون على الاساليب والتربية المسيحية[٣٠](بن كره ، ١٩٨٠، ص ٧٧). وكانت الكنيسة البروتستانتية الفرنسية تشرف على ذلك البرنامج للتبشير الواسع النفوذ[٣١] (بن بلوي، ١٩٨١، ص ١٠٠) لقد افرزت تلك الاندية عادات غريبة عن المجتمع التونسي، لاسيما بعد ان التحق عدد من الشباب اليها وهجروا عائلاتهم وسكنوا في المدن وعملوا في شتى الاعمال ومنهم من غادر الى فرنسا واوروبا[٣٢] (عبد الظاهر ، ١٩٨١ ، ص ٨٧).

المبحث الثاني:**التعليم وسيلة من وسائل التبشير:**

اتجهت سياسة فرنسا التعليمية في تونس على الاعتماد على مدارس الارساليات التبشيرية منذ فرض الحماية، بهدف محو الروح القومية وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية[٣٣] (محمود ، ١٩٧٧، ص ٥٥).

وتطبيق برامج خاصة لاخراج الناشئة عن قوميتها العربية، وقطع الصلة بينها وبين ماضيها وتاريخها، لتتمكن من ادماجها في العنصر الفرنسي[٣٤] (سيد معاطي ، ١٩٧١ ، ص٦١ ).

في عام ١٩٠٣ منحت ادارة العلوم والمعارف[٣٥] (درمونة ،د،ت، ص ٧٨)اجازة تأسيس مدرسة الاخوات الراهبات للبنات[٣٦] (محمود ، ١٩٧٧، ص ٦١) وهي مدرسة داخلية في العاصمة، التحق في الدورة الاولى ٣١ طالبة، وبنفس الوقت تأسست مدرسة الاخوان النصارى[٣٧] (محمود ، ١٩٧٧، ص ٦٢) للبنين وقد التحق بها ٢٨ طالباً[٣٨] (محمود، ١٩٧٧، ص ٨٨).

ان تلك المدارس كانت تتبع سياسة واحدة دائمة وقياده واحدة، لاتسعى الى استغلال النشاط القومي في تعليم اهل تونس ولاتسعى الى ابراز الخصائص الوطنية حيث تفتح ابوابها لابناء البلاد التي تكون فيها، ولكنها تجتهد في ان تجعل من ابناء تونس الذين تعلمهم اشباهاً لابناء فرنسا نفسها في المظهر واللغة واسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة[٣٩](الحبيب ، د.ت،ص٥٦).

كانت الكنيسة اليسوعيه[٤٠] (بن بلوي،د.ت،ص١٨٢) الفرنسية تشرف اشرافاً مباشرة على تلك المدارس وتنفق الاموال على طلبتها، وقد وضعت شروط عدة للانتساب الى مدارسها منها[٤١] (الخالدي ، ١٩٦٣، ص٧١).

١-يجب ان يفهم ولي امر التلميذ ان المدرسة هي مؤسسة تبشيرية.

٢-لايحق لاسرة التلميذ الاعتراض على المناهج الدراسية.

٣-تتولى ادارة المدرسة نفقات التلميذ طيلة مدة دراسته.

لقد اهتم اليسوعيون بمجانية التعليم لانها تحقق اهدافهم، فهم يعتقدون انه يجب ان يقوم الى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات مدرسة صغيرة للفقراء مجانية لا

لتعليمهم في الدرجة الاولى بل لحفظ المظهر التبشيري بادياً للعيان، لان الفقراء اكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من اقرانهم من ابناء الاغنياء[٤٢](محمود،١٩٧٧،ص ٦٠) .

مع بداية عام ١٩٠٤ افتتحت في مدينة توزر مدرسة داخلية للبنات انتسب اليها ٢١ طالبة، وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات اشد حيث كانوا يعتقدون (ان التبشير يكون اتم حبكاً في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الاحوال المواتية والفرص السانحة لانها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات اوثق ولانها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير مسيحية)[٤٣] (زغلول، ١٩٧٧، ص٩١).

وشهد عام ١٩٠٥ افتتاح مدرسة الصنائع للبنين بصفاقس وقد قبل في المدرسة ٢٩ طالباً، كان هدف المدرسة تعليم التونسين بعض المهن والحرف والالتحاق بعد التخرج للعمل في المصانع[٤٤] (الخالدي،١٩٦٣، ص٧٨).

اقدمت ادارة المعارف على اختيار التلاميذ الذين يتمتعون بالمؤهلات العقلية التي تفوق اقرانهم، وسفرتهم لاكمال الدراسة في باريس من دون موافقة ذويهم مما ولد مشا كل بين الاهالي والسلطة الفرنسية[٤٥](عبد العظيم،١٩٧٧، ص ٨٣).

بلغ عدد الطلبة الذين رحلوا الى باريس للدراسة ٩ طلاب فقط عاد منهم شخص واحد بعد استقلال تونس عام ١٩٥٦ اما الطلبة الباقين فلم يعودوا الى تونس[٤٦] (عبد العظيم ، ١٩٧٧،ص ٨٤).

وفي عام ١٩٠٨ افتتحت في مدينة ماطر[٤٧](الزواري ، ١٩٨١، ص٨٠). مدرسة ابتدائية للبنين من قبل الارسالية اليسوعية، وقد سمح للطلبة اليهود بالانظمام للدراسة اسوة ببقية الطلبة المسلمين[٤٨](موسوي، ١٩٨١، ص١٨٧). وافتتحت نفس الارسالية مدرسة داخلية للبنات في مدينة باجه[٤٩](الزواري، ١٩٨١، ص٩٢). عام ١٩١٠ وقد اعلنت ادارة المدرسة ان الدراسة مجانية وتتكفل الادارة مصاريف واجور الدراسة في المدرسة[٥٠](موسوي، ١٩٨١، ص١٨٩).

ومع حلول عام ١٩١٢ بادرت الارسالية لافتتاح مدرسة للبنين في مدينة الكاف[٥١](الحبيب، د.ت،ص٨).

**موقف فقهاء تونس من الارساليات التبشيرية:**

كان علماء القيروان اول من تنبه لخطورة التبشير على المسلمين في البلاد وان الارساليات الفرنسية غايتها بالدرجة الاساس (افسادية)، ويحاولون تفكيك وحده الامه الاسلامية ليحكموا شعوبها[٥٢] (داده، ١٩٨١، ص٢٧).

من خلال افساد الشعب التونسي، لان ذلك الافساد يصل بالمبشرين الى غاياتهم القصوى وهي تمكين فرنسا من حكم البلاد[٥٣](الدجاني ، ١٩٧٧، ص٢٢٤).

وقد اتفق العلماء على زيادة وعي الناس من خلال المساجد والزوايا وخطب الجمعة لتعريف الناس على حقيقة تلك الاعمال التي تهدف الى ضرب العقيدة الاسلامية في الصميم[٥٤](داده ،١٩٨١، ص٢٩).

وقد قاد تلك الحملة الشيخ محمد بن عاشور[٥٥](الأسكندري، ١٩٧٧،ص١٢٣). وفخر الدين التازي[٥٦](الأسكندري، ١٩٧٧، ص٢٣٥ وما بعدها).

في الوقت ذاته حدث خلاف بين الفقهاء انفسهم حول عمل الارساليات التبشيرية وانقسموا الى فريقين، الفريق الاول كان يرى ان الاعمال التي تقوم بها الارساليات هي اعمال تخدم الناس ولاباس من الاستفادة منها مع تحصين النفس من نوايا تلك الارساليات[٥٧](بلعيد ، ١٩٧٨، ص١٦٥).

اما الفريق الثاني فقد كان يؤمن ان اعمال المبشرين اشبه(يدس السم في العسل) فهم يقومون بشيء ويضمرون شيء اخر وهو تحويل الناس من الاسلام الى النصرانية[٥٨](داده ،١٩٨١، ص٤١). وقد قاد هذا الفريق الشيخ محمد بن عاشور والشيخ فخر الدين التازي الذين تنبهوا الى خطورة الاعمال التبشيرية(لقد تمكنت الكنيسة من الوصول الى اصغر القرى فضلاً عن الكبيرة، وقد ارتبطت بجماهير الناس ارتباطاً وثيقاً وذلك بواسطة المستوصفات التي قاموا بفتحها في كثير من القرى والمدن وكانت لتلك المستوصفات اثر مهم فهي التي تقدم الدواء بثمن التكليف وهي التي قامت بالاشراف على المدارس، فما هو هدفهم من ذلك كله)[٥٩](بلعيد ، المصدر السابق، ص١٦٧).

اثارت دعوة الشيخين استياء السلطات الفرنسية التي امرت جنودها بالقبض عليهم وارسلتهم الى سجن توزر[٦٠](درمونة، المصدر السابق،ص٩١).

لكن الحسم في مسألة الارساليات التبشيرية جاء من جامع الزيتونة [٦١] (أبن صفر،د.ت،ص٩١)حيث افتى امام الجامع الاكبر ونقيب السادة الاشراف في تونس الشيخ سيدي احمد الشريف [٦٢] (التازي، ١٩٢٧،ص٤٣) بحرمة التعامل مع تلك الارساليات (البابوية التي تدفع بها أوروبا لبلاد الاسلام لحرف الناس عن نواميسهم الاسلامية)[٦٣](المودوي، د.ت،ص٨١).

ودعى الشيخ احمد الشريف من خطباء الجمعة وأئمة المساجد والمنابر لتوعية الناس البسطاء من مخاطر تلك الارساليات ، كما نشر سلسلة من المقالات الدينية عن اهداف التبشير وأساليبه في مجلة ( الهداية) التي كان يصدرها جامع الزيتونة بداية كل شهر عربي[٦٤] (التازي ، ١٩٢٧،ص٤٩).

وقد نشرت الصحف الفرنسية لاسيما جريدة لوفيغارو Le Figaro [٦٥] (سعودي ، ١٩٨٣، ص٢٦١) نص الفتوى الدينية لشيخ الزيتونة وقد هاجم الكتاب والصحفين الفرنسين تلك الفتوى واعتبروها ( عودة الى الوراء ورفض لتطوير المجتمع التونسي) [٦٦](ميشيل ، ١٩٨٨، ص٦٤١). وقد رد على تلك الادعاءات الباطلة شيوخ وفقهاء الزيتونة الذين كانوا في موسم الحج مع الشيخ الشريف وعقدوا مؤتمرا اسلاميا في الديار المقدسة عام ١٩١٤ ، حضره شخصيات اسلامية واقطاب كبيرة من مصر والمغرب والعراق وبقية انحاء العالم الاسلامي وافتوا بحرمة التعامل مع الارساليات مهما كانت جنسيتها واهدافها ، وقد اثنى شيوخ الازهر الشريف على تلك الفتاوى[٦٧] (المودوي، المصدر السابق، ص٨٩).

بعد ذلك واصلت الحركات التبشيرية اعمالها ونجحت نجاحاً كبيراً اذ اعدت جيل يقبل الافكار الاستعمارية، بل يفنى نفسه في الدفاع عنها وحمل مبادئهم وانظمتهم واخلاقهم[٦٨](بلعيد،المصدر السابق ، ص١٦٩).

الخاتمة

من خلال ما تقدم يتبين ان السلطات الفرنسية وبعد ان فرضت الحماية على تونس اعطت الضوء الاخضر للارساليات التبشيرية بدخول تونس وممارسة اعمال التبشير بين السكان مستغلتاً سوء الاوضاع الداخلية وتدني المستوى المعاشي للشعب

التونسي في وقت رفضت دخول اية ارساليات اخرى ومن دول كانت حليفة لفرنسا كبريطانيا وهولندا وايطاليا.

كانت الارساليات الفرنسية تساعد السلطة الحاكمة في بسط نفوذها السياسي والثقافي من خلال برامج التبشير التي تهدف الى زعزعة القيم الاسلامية لدى عدد من ابناء الشعب التونسي وبالتالي يسهل السيطرة على الاراضي والمدن كافة من خلال ضرب الهوية الوطنية وتكريس حالة الاغتراب الفكري لدى ابناء الشعب التونسي.

ان برامج تلك الارساليات كانت مدروسة بعناية فائقة فهي تعلم كل صغيرة وكبيرة عن عادات وتقاليد المجتمع التونسي ونظرته الى الارساليات على اعتباره عقيدة الغالبية العظمى من سكانه، لذلك كانت الحكومة الفرنسية تنفق اموالاً طائلة على تلك الارساليات التي كان من المؤمل لها ان تكون سنداً وعوناً في تكريس الاحتلال وترويض الشعب بحيث تجعله عاجزاً عن التفكير في تحرير نفسه من قيود الاحتلال التي فرضت عليه، لكن النتائج تلك جاءت بالضد مما خطط لها فلم يستسلم الشعب التونسي وادرك حيل والاعيب المحتلين وكان نداً قوياً للاستعمار واعوانه.

**الهوامش**

(١) الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، تونس، د. ت، ص١٨.

(٢) نصت المعاهدة في مادتها الاولى ان معاهدات الصلح والمودة والتجارة وجميع الاتفاقيات الاخرى الموجودة بين الجمهورية الفرنسية والباي قد وقع تأكيدها وتجديدها ثانيا، تحتل القوات الفرنسية المراكز التي ترى احتلالها لازماً لتحقيق النظام وحفظ الامن بالحدود والسواحل ثالثاً. ان هذا الاحتلال يزول عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية على ان الادارة المحلية قد اصبحت قادرة على حفظ الامن رابعاً ان الجمهورية الفرنسية تتعهد بتنفيذ جميع المعاهدات الموجودة

بين الحكومة التونسية ومختلف دول العالم للمزيد عن نصوص المعاهدة وملاحقها ينظر: المصدر نفسه، ص٢٧.

(٣) عبد الحميد سيد حامد، التبشير في البلاد العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٩، ص٧٣.

(٤) بعثة تبشيريه مؤلفة من راهبات فرنسيات تطوعن للعمل التبشيري بدء نشاط البعثة في غرب افريقيا الوسطى منذ عام ١٨٨٠.للمزيد ينظر،الحبيب ثامر،المصدر السابق، ص٣٦.

(٥) علي سيد معاطي، التبشير والتنصير في الدول الاسلامية، الرياض، ١٩٧١، ص٥٥.

(٦) عبد الحميد سيد حامد، المصدر السابق، ص٧٦.

(7) M. W, The moslem World, New York, 1955, P. 88.

(٨) هي عاصمة منطقة الاعراض، مدينة زراعية تحيط بها حدائق النخيل الشاسعة كانت مركز القيادة العليا العسكرية لمنطقة الجنوب التونسي ينظر خالد الزواوي، جغرافية تونس وتضاريسها، ط٢، تونس، ١٩٨١، ص٦٥.

(٩) تقع في الجنوب التونسي وهي عاصمة واحات الجنوب وتحيط بها القرى بين الواحات وفيها اشهر عيون المياه التي توزع على البساتين بطرق هندسية دقيقة التنظيم ينظر الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص٤.

(١٠) من مدن الساحل التونسي اسسها المهدي عبيد الله سنة ٩١٦ ميلادية وصارت منذ ذلك العهد قاعدة الخلافة الفاطمية، ثم اصبحت بعد ذلك قاعدة من قواعد القراصنة في البحر المتوسط ينظر خالد الزواوي، المصدر السابق، ص٦٧.

(١١) بعد فرض الحماية على تونس اقدمت السلطات الفرنسية على مصادرة الاراضي الوقفية العائدة للمسلمين وتقدر مساحتها تقريبا اربعة ملايين هكتار بموجب الامر المرقم ٢٧٧ في ١٣ تشرين الاول ١٨٨٢ ووزعت تلك الاراضي على كبار الضباط والاستعماريين وكبار قادة الارساليات للمزيد ينظر Arthur, H. A, History of Tunnes, London 1987, P. 133.

(١٢) عبد الاعلى التوزري، التنصير القسري في افريقيا، ط٢، مكتبة افريقيا الحره، د. ت، ص١٦١.

(13) Wilson, the Christian message to lslam, New York 1950, P. 77.

(١٤) عبد الاعلى التوزري، المصدر السابق، ص١٦٢.

(١٥) جمعية خيرية تأسست في باريس عام ١٨٨١ حملت اسم القديس جوزيف لاعمال الخير والاحسان كان نشاطها مقتصراً في المغرب وتونس والجزائر وموريتانيا للمزيد بنظر ، عبد الاعلى التوزري ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

(16) SAMUEI,the Christian Approach to Islam in the Tunis, London, 1984, P. 102.

(١٧) تقع شمال خليج قابس وهي عاصمة الجنوب التونسي الادارية وتعد اهم مركز اقتصادي في تونس وعندها ينتهي خط السكك الحديد لنقل المسافرين بين صفاقس وقفصه ينظر الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص٣.

(١٨) لعبت هذه المدينة ادواراً مهمة في التاريخ وكانت تنافس كبريات المدن الاخرى للمزيد ينظر المصدر نفسه، ص٣.

(١٩) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٢، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص٦٣.

(20)Samuel, op, cit., p. 103.

(٢١) ابراهيم نعمة ، الاسلام في افريقيا، ط٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٧.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٤٩.

(٢٣) د. وليم كيمش، الامراض والاوبئة في دول العالم الثالث، ترجمة زياد فاخوري ، ط٢، لندن، ١٩٧١، ص٧٥.

(24) Harold. John, France and the middle East, New York 1955, p. 89-90.

(25) M. W, OP, Cit, P. 98.

(26) Harold, John, OP, cit, p. 92.

(٢٧) عز الدين الماطري، تاريخ تونس الحديث، ط٢، المكتب العلمي، تونس، ١٩٧٤. ص١١٥.

(٢٨) سيف الدين بن كره، الاستعمار والتنصير في افريقيا، مكتبة العلمين، الجزائر، ١٩٨٠، ص٧٥.

(٢٩) عز الدين الماطري، المصدر السابق، ص١١٧.

(٣٠) سيف الدين بن كره، المصدر السابق، ص٧٧.

(٣١) عبد الله بن بلوي، السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه المغرب العربي، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٨١، ص١٠٠.

(٣٢) مصطفى عبد الظاهر، دراسات في المجتمع العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٨١، ص٨٧.

(٣٣) ليلى محمود، التعليم الاجنبي في البلدان العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص٥٥.

(٣٤) علي سيد معاطي، المصدر السابق، ص٦١.

(٣٥) تاسست ادارة العلوم والمعارف عام ١٨٨٣، وقد وضعت برنامجاً لانشاء مدارس ابتدائية فرنسية للاوربيين والعرب على غرار المدارس الموجودة في فرنسا نفسها ولم يكن للغة العربية اي وجود في

هذه المدارس، ترأس الادارة المسيو ليو بواتيه وهو موظف فرنسي رفيع في سلطة الاحتلال، وكان يهدف الى انشاء شبكة من المدارس في كل المدن يؤمها الاطفال سواء كانوا تونسين او من الجاليات الاجنبية الاخرى لينشأوا نشأة فرنسية صرفة ينظر يونس درمونه، تونس بين الحماية والاحتلال، منشورات مكتب تونس الحره، تونس، د. ت، ص٧٨.

(٣٦)الجدير بالذكر ان المدرسة استمر عملها حتى عام ١٩٥٥ ينظر ،ليلى محمود ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٣٧)لم يستمر عمل المدرسة طويلاً حيث اغلقت بعد الحرب العالمية الثانية . المصدر نفسه ، ص٦٢ .

(٣٨) ليلى محمود، المصدر السابق، ص٨٨.

(٣٩) الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص٥٦.

(٤٠)تأسست على يد القديس اغناطيوس في القرن السادس عشر في اسبانيا وفرنسا كجزء من الاصلاح الديني في الكنيسة الكاثوليكية اعتبرت اليسوعية الاكثر حداثه وتطور في مسائل العبادات الدينية . ينظر عبد الله بن بلوي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .

(٤١) البشير الخالدي، تاريخ التعليم في تونس، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣، ص٧١.

(٤٢) ليلى محمود، المصدر السابق، ص٦٠.

(٤٣) سهاد علي زغلول، تعليم المرأة في العالم العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص٩١.

(٤٤) البشير الخالدي، المصدر السابق، ص٧٨.

(٤٥) عبد الخالق عبد العظيم، مشكلات التعليم في الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٧٧، ص٨٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ص٨٤.

(٤٧) تقع شمال تونس العاصمة وتتبع ولاية بنزرت، تاسست عام ١٨٩٨ وهي تتمع بموقع ستراتيجي كبير جعل الادارة الفرنسية تتخذ منها قاعدة عسكرية كبيرة لاسيما في فترة الحرب العالمية الثانية للمزيد ينظر خالد الزواوي، المصدر السابق، ص٨٠.

(٤٨) عبد الرضا ميرزا موسوي، التعليم في البلاد الاسلامية، ط٢، طهران، ١٩٨١، ص١٨٧.

(٤٩) تقع في الشمال الغربي من العاصمة على مسافة ١٠٧ كيلو متراً، وتعتبر المدينة من اهم المدن في الانتاج الزراعي ننظراً لخصوبة ارضها وتوفر مياهها طيلة ايام السنة لذلك عدت بمثابة سلة الخبز بالنسبة لتونس للمزيد ينظر خالد الزواوي، المصدر السابق، ص٩٢.

(٥٠) عبد الرضا ميرزا موسوي، المصدر السابق، ص١٨٩.

[٥١] تقع في الشمال الشرقي للعاصمة تتمتع بموقع اثاري هام حيث ارتبط اسمها مع تاريخ الرومان لذلك اصبحت قبله للسياح من كافة ارجاء العالم للمزيد ينظر الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص٨.

[٥٢] ابراهيم ولد داده، الاسلام والحركات التبشيرية، ط٢، الرباط، ١٩٨١، ص٢٧.

[٥٣] عبد الله الدجاني، الاسلام في مواجهة الغرب، مجلة الثقافة الاسلامية، العدد ٢٧، ٥ اذار، ١٩٧٧، ص٢٢٤.

[٥٤] ابراهيم ولد داده، المصدر السابق، ص٢٩.

[٥٥] عالم وفقيه تونسي ولد في مدينة سوسه عام ١٨١٦، تعلم في جامع الزيتونة، ثم عين قاضياً وارتقى الى رتبة الافتاء، عرف بموقفه المناهض للاحتلال الفرنسي، كانت له حلقه خاصة ويشرف على تلامذته له الكثير من المؤلفات الفقهية والقانونية توفي عام ١٩٧١ ودفن في مدينة القيروان ينظر عبد السلام الاسكندري، قضايا الاصلاح في الفكر الاسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٢٣.

[٥٦] فقيه تونسي ولد في مدينة القيروان عام ١٨٧١، درس الفقه والشريعة في مدينته على يد المشايخ امثال الشيخ محمد الاندلسي، تولى الخطابة في مسجد القيروان، رحل الى الديار المقدسة للحج وهناك التقى بابرز المشايخ في نجد والحجاز وبعد عودته كتب مؤلفات عن شرح صحيح البخاري والفيه ابن مالك، بعد احتلال تونس من قبل القوات الفرنسية رفض الاحتلال ودعى السكان لمقاتلة المحتلين فاصبح ايقونة للثورة ضد المحتلين توفي في ١٣ تموز ١٩٤٨ ينظر، المصدر نفسه، ص٢٣٥ وما بعدها.

[٥٧] حمد الله بلعيد، الكنيسة والمجتمع الافريقي، مكتبة العلوم، الدار البيضاء، ١٩٧٨، ص١٦٥.

[٥٨] ابراهيم ولد داده، المصدر السابق، ص٤١.

[٥٩] حمد الله بلعيد، المصدر السابق، ص١٦٧.

[٦٠] يونس درمونة، المصدر السابق، ص٩١.

[٦١] من اقدم المساجد في تونس ، يعود تاسيسه الى سنة ٦٨٩ميلادية ، بامر من حسان بن نعمان ويعد حاضرة من حواضر العالم الاسلامي بعد جامع عقبة بن نافع ، ويتبع المذهب المالكي، ومساحته خمسة الاف واربعمائة متر مربع وفيه ١٨٤ عموداً ، ولكل عمود شيخ طريقة يتجمع فيه بطلابه ومريديه . للمزيد : ينظر عبد الله بن صفر ، حواضر العالم الاسلامي ، ط٢، القاهرة، د.ت، ص ٩١.

[٦٢] ولد في تونس عام ١٨٤٠ ، درس في جامع الزيتونة وتتلمذ على يد أعلام الفكر الاسلامي حتى شغل منصب مفتي المالكية في تونس تولى عام ١٨٧٢ التدريس في الجامع ، واصبح نقيباً لاشراف تونس عام ١٨٩١ ، له العديد من المؤلفات الدينية التي يصل عددها الى ٧٢ كتاباً فقهياً وهو أول من تصدى للاحتلال الفرنسي من رجال الدين، توفي في تونس عام ١٩١٩ ينظر : جمال الدين التازي ، زعماء النهضة الاسلامية ، ط٢ ، دار الافتاء ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٤٣.

[٦٣] عبد الاعلى المودودي ، الاسلام في مواجهة الغرب ، مطبعة الاخوان المسلمين ، الجيزة، د.ت، ص ٨١.

[٦٤] جمال الدين التازي ، المصدر السابق ، ص ٤٩.

[٦٥] من اقدم الصحف الفرنسية التي أستمرت بالصدور ، يعود تأسيسها الى عام ١٨٢٦ حيث صدر عددها الاول يوم ١٥ تشرين الثاني ، كانت تصدر اسبوعيا بداية تأسيسها ثم صدرت يومياً بعد ذلك ، وقد انتهجت السياسة المحافظة والجرأة بطرح الموضوعات . للمزيد ينظر: اندريه جوليان ، تاريخ الصحافة الفرنسية ، ترجمة قاسم سعودي ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦١.

[٦٦] بيتري دي ميشيل ، الصحافة الاوربية وقضايا العالم العربي، ترجمة : فهمي عزيز ، ط٢، باريس ، ١٩٨٨، ص ٦٤١.

[٦٧] عبد الاعلى المودودي ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .

[٦٨] حمد الله بالعيد، المصدر السابق، ص١٦٩.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب العربية.


١- ابراهيم نعمة ، الاسلام في افريقيا، ط٢، بغداد ، ١٩٨٥.

٢- ابراهيم ولد داده، الاسلام والحركات التبشيرية، ط٢، الرباط، ١٩٨١.

٣- البشير الخالدي، تاريخ التعليم في تونس، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣.

٤- جمال الدين التازي ، زعماء النهضة الاسلامية ، ط٢، دار الافتاء ، القاهرة، ١٩٢٧.

٥- الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، تونس، د. ت.

٦- حمد الله بلعيد، البعثات الكنسية والمجتمع الافريقي، مكتبة العلوم، الدار البيضاء، ١٩٧٨.

٧- خالد الزواوي، جغرافية تونس وتضاريسها، ط٢، تونس، ١٩٨١.

٨- سهاد علي زغلول، تعليم المرأة في العالم العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧.

٩- سيف الدين بن كره، الاستعمار والتنصير في افريقيا، مكتبة العلمين، الجزائر، ١٩٨٠.

١٠- عبد الاعلى التوزري، التنصير القسري في افريقيا، ط٢، مكتبة افريقيا الحره، د. ت.

١١- عبد الاعلى المودوي، الاسلام في مواجهة الغر ب ، مطبعة الاخوان المسلمين، الجيزة ، د.ت.

١٢- عبد الحميد سيد حامد، التبشير في البلاد العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٥٩.

١٣- عبد الخالق عبد العظيم، مشكلات التعليم في الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٧٧.

١٤- عبد الرضا ميرزا موسوي، التعليم في البلاد الاسلامية، ط٢، طهران ١٩٨١.

١٥- عبد السلام الاسكندري، قضايا الاصلاح في الفكر الاسلامي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧.

١٦- عبد الله بن بلوي، السياسة الاستعمارية التونسية تجاه المغرب العربي، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٨١.

١٧- عبد الله بن صفر ، حواضر العالم الاسلامي ، ط٢، القاهرة ،د.ت.

١٨- عز الدين الماطري، تاريخ تونس الحديث، ط٢، المكتب العلمي، تونس، ١٩٧٤.

١٩- علي سيد معاطي، التبشير والتنصير في الدول الاسلامية، الرياض، ١٩٧١.

٢٠- ليلى محمود، التعليم الاجنبي في البلدان العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧.

٢١- مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٢، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٧.

٢٢- مصطفى عبد الظاهر، دراسات في المجتمع العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٨١.

٢٣- يونس درمونة، تونس بين الحماية والاحتلال، منشورات مكتب تونس الحرة،، تونس، د. ت.

**ثانياً : الكتب الاجنبية:**

1- Arthur, H. A. History of Tunes, London 1987.
2- Harold. John, France and middle East, New York, 1955.
3- M. W. The mosium World, New York, 1955.
4- Samuel, the Christion Approach to Is lam in the Tunis, London, 1984.
5- Wilson, The Christion message to Islam New York, 1950.

**ثالثاً: الكتب المترجمة:**

١-اندريه جوليان ، تاريخ الصحافة الفرنسية ، ترجمة قاسم سعودي ، ط٢ ، الكويت ١٩٨٣.

٢-بيتري دي ميشيل ، الصحافة الاوربية وقضايا العالم العربي، ترجمة فهمي عزيز ، ط٢، باريس ١٩٨٨

٣- د. وليم كيمتس، الامراض والاوبئة في دول العالم الثالث، ترجمة زياد فاخوري، ط٢، لندن ١٩٧١.

**رابعاً : البحوث والدراسات :**

١-عبد الله الدجاني الاسلام في مواجهة الغرب، مجلة الثقافة الاسلامة، العدد ٢٧، ٥ اذار ١٩٧٧.